

مجلة علمية محكمة، نصف سنوية
تعنى بنشر البحوث التاريخية والآثارية والحضارية

المجلد الثاني
الجزء الأول
يناير ١٩٨٧م
جمادى الأولى ١٤٠٧هـ



تصدر عن: دار المريخ للنشر - لندن

العصور، المجلد الثاني، الجزء الأول، ١٣٧ ـ ١٤٩ (١٩٨٧)

تعريف مدن الهند وتحديدها الواردة في كتاب فتوح البلدان ـ للبلاذري

للدكتور سيد رضوان علي

ملخص البحث : لا يمكن فهم الحملات العربية ، وأهمية الفتوح التي تمت نتيجة هذه الحملات إلاّ بعد معرفة المناطق والمدن التي توجهت إليها هذه الحملات معرفة دقيقة ، والكثير من هذه المدن قد دَرست ، وأخرى تغيّرت أسماؤها . والقليل جداً منها لا تزال قائمة بأسمائها . كما أن أسماء البلاد والمناطق التي كانت تقع فيها تلك المدن المفتوحة قد تغيّرت نتيجة للأوضاع السياسية المتغيرة . . وواجب الباحث أن يحاول ، ما أمكنه ، تعريف هذه المدن وتحديد مواقعها في الخرائط الحديثة طبقاً للوحدات السياسية والإدارية المعاصرة . وهذا ما فعله كاتب هذا البحث ، فقد بذل جهداً كبيراً في تعريف وتحديد مدن الهند التسعة عشرة التي ورد ذكرها في كتاب فتوح البلدان للبلاذري ، وهو من أهم مصادرنا عن الفتوح الإسلامية الأولى . واتضح بهذا البحث أن فتح العرب في شبه القارة الهندية لم يكن مقصوراً على بلاد السند (الباكستان حالياً) كما شاع ، بل تجاوزت هذه الفتوح إلى وسط الهند وغربها (في جمهورية الهند حالياً) .

يعتبر فتوح البلدان لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (المتوفى سنة ٢٧٩هـ)، أهم المصادر العربية وأقدمها عن الفتوح الإسلامية في شبه القارة الهندية (السند والهند) في القرنين الأول والثاني للهجرة على الإطلاق .

وقد نشر هذا السفر الجليل عن الفتوح الإسلامية في آسيا وأفريقيا وأوروبا (أسبانيا) ، المستشرق الهولندي دي خويه (de Goeh) محققاً في القرن التاسع عشر الميلادي لأول مرة ، وظهرت بعد ذلك عدة طبعات له في القاهرة منذ أوائل القرن العشرين ، ومعظمها طبعات تجارية ، اعتمدت على هذه الطبعة الأوروبية إلى أن ظهرت طبعة جديدة في سنة ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧م بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، المحقق والمؤلف السوري المشهور ، وأمامي هذه الطبعة .

وقد جعل الدكتور المنجد طبعة دي خويه أساساً لطبعته كما صرّح بذلك في مقدمته النفيسة الطويلة[1] ، ورغم أنه قام بتعريف وتحديد أسماء الأماكن الواردة في الكتاب في معجم للأماكن في آخر الكتاب ، وذلك بعد الرجوع إلى المصادر والمراجع في العربية واللغات الأجنبية والخرائط العديدة .[2] فالحقيقة أنه لم يقم بأي تحقيق في الموضوع غير تعريف هذه المدن من **معجم البلدان** لياقوت ، وأحياناً قليلة من « **قاموس الأمكنة والبقاع الواردة في فتوح البلدان** » تأليف علي بهجت ، والمطبوع في سنة ١٩٠٨م ، و **بلدان الخلافة الشرقية** تأليف لي سترينج . وكثير من هذه التعريفات

(١) الفتوح ١/٢٧ ثلاثة أقسام (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧) .

(٢) أيضاً ١/ ٢٨ .

لا يفيد القارىء شيئاً ، وأخرى فيها أخطاء فاحشة . وأما تحديد مواقع هذه المدن والبلدان الكثيرة حالياً ، فلم يتعرض لها المحقق الفاضل على الإطلاق ، كما أنه أهمل ذكر عديد من مدن الهند والسند في معجمه المذكور مثل تانه ، والكيرج ، ومرمد ، ودهنج ، وفالي وغيرها من مدن الهند ، وأخرى من مدن السند لا أرى لذكرها حاجة هنا .

ولست هنا بصدد نقد عمل الدكتور المنجد في هذا الكتاب ، فله فرصة أخرى إن شاء الله . ولكن القصد من هذه الإشارة هو أنه لا يزال القارىء يجد صعوبة كبيرة في الوقوف على سير الحملات العربية في الهند ، ولا يمكن تقدير هذه الحملات وأهميتها إلَّا إذا عرف مواقع هذه المناطق والمدن التي تعرضت لتلك الحملات ، ولأجل ذلك حاولت أن أقوم بتعريف هذه البلدان والنواحي ، وتحديدها حالياً ليسهل الأمر على المتتبعين لهذه الفتوح في الهند .

والحقيقة التي تتجلى من تتبع ما جاء في فصل « فتوح السند » في الجزء الثالث من الكتاب (طبعة المنجد) ، أن هذا الفتح لم يكن مقصوراً على السند كما يبدو من عنوان الفصل في أول وهلة ، بل تجاوز إلى وسط الهند وغربها ، عبر نهر السند شرقاً . ولأجل هذا كان المصدر الرئيس الأول الذي استقى منه البلاذري معلوماته عن هذا الفتح ، أي أبو الحسن علي بن محمد المدائني (المتوفي على الأرجح بين ٢٢٥ ـ ٢٣٥هـ) قد سمّى رسائله الثلاث في الموضوع (١) كتاب فتح مكران (٢) كتاب ثغر الهند (٣) وكتاب عمال الهند[٣] ، بينما عنون البلاذري فصله عن هذه الفتوح « بفتوح السند » ، وهو عنوان غير دقيق ومضلل نوعاً ما ، وانخدع بذلك الدكتور المنجد فاعتبر كثيراً من مدن الهند ومناطقها ، مدناً ومناطق في السند .

والحقيقة الثانية التي تتراءى واضحة أن الفاتحين العرب الأوائل في الخلافة الأموية والخلافة العباسية ، كانت لديهم خطة توسيع رقعة الفتوح في شبه القارة الهندية ، ولولا الظروف الحرجة من الفتنة بين الأمين والمأمون وثورات داخلية عديدة ، وقبل ذلك الإنشقاق الداخلي في الدولة الأموية والصراع بين الأمويين والعباسيين ، لاتسع نطاق هذا الفتح وشمل كل أرجاء الهند .

وليس هذا فحسب بل لم يستطع المسلمون ، تبعاً لهذه الظروف السياسية السيئة والصراعات الداخلية ، أن يحافظوا على تلك المناطق والمدن التي كانوا قد فتحوها في وسط الهند حتى إقليم مالْوَه (Malwa) في مقاطعة مدهيا برديش (Madhia Pradesh) الحالية ، بجمهورية الهند ، وسواحل الهند الغربية في مقاطعتي كجرات ومهاراشْتر (Gujrat, Mahrashter) بالهند أيضاً ، بل سرعان ما فقدوها بخلاف بلاد السند (أي مقاطعات بلوشستان[٤] والسند ، والبنجاب الجنوبية في الباكستان حالياً) التي أصبحت إحدى أقاليم الدولة الأموية ثم الدولة العباسية ، إلى أن قامت فيها دويلات عربية مستقلة[٥] ، وظلت قائمة حتى أواخر القرن الرابع الهجري وأوائل القرن الخامس .

والحقيقة الثالثة التي تتضح للقارىء أن الحملات الإسلامية الأولى في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب في العام الخامس عشر من الهجرة كانت موجهة إلى بعض موانىء الهند ، تانه ، وبروص[٦] على الساحل الغربي للهند ، (وكانتا تابعتين للمملكة الشلوكية Chalukia) ، وأيضاً ميناء الديبل (Dewal) على ساحل السند التابعة لمملكة داهر في بلاد السند ، وذلك بتوجيه من والي البحرين (المنطقة الشرقية للجزيرة العربية) الحكم بن أبي العاصي الثقفي .

ثم صرفت الأنظار عن هذه الحملات البحرية بتحذير من الخليفة كما هو معروف في التاريخ : « حملت دوداً على عود » ، حرصاً منه على أرواح المسلمين وتجنباً للمجازفة ،

---

(٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٠٣ (طبعة فلوجل) ، وص ١١٦ (طبعة رضا متجدد الإيرانية الحديثة ، ١٩٧١ م) .

(٤) وتكتبها الصحافة العربية والمؤلفون العرب « بلوخستان » وذكرها الجغرافيون العرب القدامى باسم طوران ، أو « أرض بلوص » ، والصواب ما أثبتناه ، إذ استعمال الخاء مكان الجيم الفارسية ذات ثلاث نقاط خطأ .

(٥) انظر عن هذه الدول ، القاضي أطهر المباركفوري الهندي ، **الدول العربية في الهند** (باللغة الأردية) بدون تاريخ ، وقد ترجمت إلى العربية ، ولكن هذه الترجمة مملوءة بالأخطاء الفاحشة ، وقد أشار إلى بعضها قبل ذلك بحوالي ثلاثين سنة العلامة السيد سليمان الندوي في كتابه : **صلات بين العرب والهند** (بالأردية أيضاً) . ط ٢ ، كراتشي ، بدون تاريخ .

(٦) **الفتوح**: ٣/ ٥٣٠ .

وذلك لمناعة هذه السواحل ، وعدم استعداد المسلمين من ناحية الإعداد البحري إعداداً كافياً .

وبعد إتمام فتح مناطق السند على يد محمد بن القاسم الثقفي في نهاية القرن الأول للهجرة (أوائل القرن الثامن الميلادي) ، بدأ تنفيذ مخطط فتح الهند وتلك السواحل وغيرها ، من ناحية البرّ ثم من ناحية البحر .

هذا هو الإطار التاريخي الذي ورد ضمنه ذكر المدن الهندية العديدة في فتوح البلاذري ، والتي نحاول التعرف عليها ، وتحديد مواقعها حالياً في السطور القديمة ، طبقاً لورودها في الكتاب دون مراعاة الترتيب الأبجدي الذي يتبعه أصحاب فهارس الأعلام والأماكن .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المدن والمناطق كانت من ممتلكات الدولتين القويتين في الهند ، هما دولة شلوكية (Chalukia) ودولة كورجرا (Gurjara) أو غورجرا[٧] ، وبعض الإمارات الصغيرة التابعة لها في مناطق راجستان ، وماروار (Marwar) وكجرات (Gujrat) وسوراشتر (Surashter) ومالْوَه (Malwa) في وسط الهند وغربها .[٧أ]

وأرقام الصفحات المذكورة على الجانب الأيمن من صفحات البحث مع كل اسم هي لطبعة الدكتور المنجد ، وأشير بعد تعريف وتحديد كل مدينة ومنطقة إلى أخطاء المحقق المذكور . وهاكم هذه البلدان :

١ - تانة: (ص ٥٣٠) وهي تهانة في اللغة المحلية ، وإليها ينتسب المؤلف المعروف عند الباحثين في اللغة العربية ، محمد أعلى التهانوي ، صاحب **كشاف اصطلاحات الفنون** . وكانت إحدى الموانىء الهامة على الساحل الغربي للهند ، قبل إنشاء ميناء بومباي الكبيرة بجوارها في عهد الإنجليز . وهي الآن قرية أو ميناء صغير داخل منطقة بومباي في ولاية مهاراشتر[٨] (Maharashter) بجمهورية الهند .

ولم يذكرها الجغرافيون العرب القدامى أمثال ابن خرداذبة ، والاصطخري ، وابن حوقل ، والمقدسي ، ولكن ورد ذكرها عند البيروني[٩] ، ثم الأدريس[١٠] وبعد ذلك أبي الفداء[١١] . ولم يذكرها ياقوت في معجمه . ولم يعرفها الدكتور المنجد في معجمه للكتاب .

٢ - بروص: (ص ٥٣٠) و (ص ٥٤١) وهي مدينة بهروج (Bhroach) في ولاية كرجات (Gujrat) حسب آخر التقسيمات الإدارية في جمهورية الهند ، وتقع فوق ميناء سورت الكبير على الساحل الغربي للهند ، وورد اسمها هكذا (أي بهروج) في كتاب الهند للبيروني (ص ١٦٤) ، كما ذكرها الادريسي (٢/ ١٨٦) ، ثم ياقوت باسم « بروج » وعقب قائلاً : « ويقال بروص » . واعتبرها « أشهر مدن الهند البحرية وأكبرها وأطيبها ، يجلب منها النيل واللّك » . (مادة بروج في معجمه) . والغريب أن الدكتور المنجد لم يذكرها في معجمه أيضاً .

٣ - قصة: (ص٥٣٦) و (ص ٤٢) هي (Kacha) قديماً وكج (Kutch) حالياً ، و« قصة » تعريب للاسم الهندي ، ورسمها البيروني « كج »[١٢] بدقة (بالجيم الفارسية ذات ثلاث نقاط) . وهي منطقة صحراوية ملاصقة لإقليم السند من ناحية الجنوب ، وقسم منها في الهند ، وآخر صغير في الباكستان . وتمّ فتحها سلماً في حملة محمد بن القاسم الثقفي (٩٣ - ٩٦هـ) .

---

(٧) انظر عن هاتين الدولتين J. E. Schwartzber, **A Historical Atlas of South Asia** (Chicago, 1973)، وقارن ذلك بـ V.D.Mahajan, **The Muslim Rule in India**, (Delhi 1962), p. 7.

(٧أ) انظر الخريطتين في نهاية البحث .

(٨) انظر خرائط الهند عامة ، **والأطلس التاريخي لجنوب آسيا** تأليف شُوارتزبرج بالإنجليزية، الآنف الذكر، ص ٣٣ خريطة (e)، ص ٤٦، وخريطة (a) .

(٩) **تحقيق ما للهند من مقولة** ، المعروف بكتاب الهند ، ص ١٦٤ ، (طبعة بيروت المصورة من طبعة حيدر آباد ، الهند) .

(١٠) **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، ٢/ ١٩٢ ، تحقيق نخبة من المستشرقين ، (طبعة روما ، ١٩٧١ - ١٩٧٣) .

(١١) **تقويم البلدان** (طبعة باريس ، ١٨٤٠ م) ، ص ٣٥٨ .

(١٢) **كتاب الهند** ، ص ١٦٧ .

وقال الدكتور المنجد أنها في الهند ، ولم يحدد موقعها .

٤ ـ قند : (ص ٥٣٧) لم أجد ذكرها في أي مصدر من المصادر الجغرافية القديمة في العربية وغيرها . ولا في الأطلس التاريخي لجنوب آسيا المذكور سابقاً . ويبدو من سياق نصّ البلاذري أنه اسم موضع قرب بروص أو بهروج بالأصح في الساحل الغربي الشمالي للهند ، حيث ذكر إقامة تمثال داهر وقاتله في بروص . وذكر بعد ذلك مباشرة نصب تمثال بديل بن طهفة[١٣] في « قند » .

وأعتقد أن « قند » أصابها بعض التصحيف ، وسقط منها الجزء الأخير لاسم مدينة « قندهار » في إقليم كجرات قرب بروص . وذكرها البلاذري نفسه في موضع آخر من كتابه ، كما ذكرها أصحاب الأطالس التاريخية للهند . وهي غير قندهار في أفغانستان[١٤] . وقندهار أو (Gandhar) هذه كانت تابعة ، بجانب بروص (بهروج) ، لدولة شلوكية الهندية، وكأن أصحابها أرادوا بإقامة هذا التمثال ، على فرض صحة رواية البلاذري ، تجسيد الخطر الإسلامي على مناطقهم بعد سقوط مملكة داهر في السند ، وأهل الهند معروفون قديماً بنحت التماثيل دون سكان السند .

وما قاله المنجد في تعريفها « قصر قند بالسند » لا يؤيده سياق هذه العبارة . وقصر قند هذا الذي ذكره في بلوشستان ، وليس في السند .

٥ ـ البيمان : (ص ٥٣٩) تحريف وتقريب لاسم بهليمال (Bhilmala) القديمة في مقاطعة راجستان في غرب الهند ، وقد ذكرها البيروني بهذا الاسم الصحيح ، في كتابه القانون المسعودي (٢/ ٥٥٢) ، وذكرها ابن خرداذبة[١٥] وكذلك ياقوت بالرسم الوارد عند البلاذري ، ولم يذكرها الاصطخري ، وابن حوقل ، والمقدسي .

ولم يكن ياقوت متأكداً بكونها في السند أو الهند وأعتبرها القاضي أطهر المباركفوري الهندي من مدن كرجات[١٦] ، وليس بصحيح . ويتأكد من نصّ البلاذري وسياقه موقعها في منطقة راجستان ، وفي ناحية ماروار (Marwar) .

وكانت هذه المدينة مركزا ثقافيا ودينيا هاما للهندوس[١٧] ، وفيها قلعة حصينة ، وتقع في موقعها أو بجوارها مدينة جودهبور[١٨] (Jodhpur) الحالية في تلك المقاطعة . وتحديد الدكتور المنجد لها « مدينة في السند » خطأ ، ولم يذكر أي مصدر غير الفتوح نفسه .

٦ ـ سرست : (ص ٥٣٩) ورد اسمها في ابن خرداذبة « سرشت » (بالشين المعجمة الثانية) ، ولم يذكرها الجغرافيون العرب الآخرون وقد يكون المراد بها منطقة نهر سَرِسْوتي (Saraswati) وهي جنوب غرب بهليمال (بيلمان عند البلاذري) ، وقد ذكرها صاحب الأطلس التاريخي لجنوب آسيا باسم سَرَستي[١٩] (Sarsati) اعتماداً على البيروني ، ولعل في موقعها الآن مدينة سدهبور[٢٠] (Sadhpur) على هذا النهر .

(١٣) وهو القائد العربي الذي قاد حملة ثانية على الديبل في ولاية الحجاج على العراق قبيل حملة محمد بن القاسم الثقفي .

(١٤) وانظر بعد ذلك ، الكلام على « قندهار » مفصلاً في موضعه من هذا البحث .

(١٥) **المسالك والممالك له** ، ص ٥٧ طبعة مكتبة المثنى المصورة عن طبعة بريل ، (ليدن ، ١٨٨٩ م) .

(١٦) **المرجع السابق**، ص ٢٨ .

(١٧) **الأطلس التاريخي لجنوب آسيا** ، بالإنجليزية المذكور سابقاً ص ص ٣١ و٣٣ .

(١٨) **أطالس الهند عامة** ، الأطلس السابق الذكر ، ص ١٤٠ .

(١٩) ص ٣٢ ، خريطة رقم (e) .

(٢٠) انظر موقعها في الأطلس المذكور سابقاً في عدد من الخرائط ، وخاصة في صفحة ١٤٠ ، خريطة ١٣ .

وربما يكون المقصود ناحية سوراته[٢١] (Surath) الساحلية في أقصى جنوب اقليم كجرات، والمعروف حالياً «سُوراشْتر» Surashter، ويقوي هذا الاحتمال الرسم الوارد عند ابن خرداذبة، وقول البلاذري بعد ذكرها بأنها: «مغزى أهل البصرة اليوم، وأهلها الميد الذين يقطعون في البحر». وقراصنة البحر هؤلاء كانوا يقطنون بالفعل سواحل السند والسواحل الهندية في إقليم كجرات. و «سوارتة» هذه غير مدينة سورت على الساحل الغربي للهند. وتحديد المنجد لها بأنها «في السند» خطأ بدون شك، فالبلاذري ذكر هنا عدداً من مدن ومناطق الهند التي غزاها الجنيد بن عبد الرحمن المرّي (١٠٧ - ١١١هـ) أثناء ولايته على السند، ولم توجد مدينة بالسند بهذا الاسم.

٧ - الكيرج (ص ٥٣٩): لا شك أن المقصود بها مدينة «كِره» أو «كهيدا» في إقليم كجرات، شماليها. والعرب عادة يغيّرون الهاء الواردة في آخر الأسماء غير العربية إلى (ج) مثل فهرج، لفهره أو بهيرة في مكان، ونموذج لـ (نمونة) الفارسية وهكذا.

وهي من المدن القديمة في تاريخ الهند، وعاصمة تلك الولاية، وهي الآن بلدة صغيرة[٢٢] بجانب مدينة «أحمد آباد» الكبيرة التي أنشأها المسلمون إبان حكمهم في القرن التاسع الهجري، التي أصبحت عاصمة ولاية كجرات.

وقد ذكرها المسعودي في مروج الذهب (١/ ١٦٩ طبعة محيي الدين عبد الحميد)، وأهملها ياقوت في معجمه. ولم يرد ذكرها في معجم المنجد.

ويلاحظ أن المدن الثلاث المذكورة أعلاه على التوالي تبين اتجاه حملات محمد بن القاسم في الهند بعد انتهائه من فتح بلاد السند، ويمرّ هذا الخط شرقاً حتى مدينة بهيلمال (Bhillmal) أو بيلمان في اقليم راجستان المجاورة للسند، ثم يتجه جنوباً إلى اقليم كجرات، لضمان الطريق البحري من ميناء الديبل (أو ديوَل) إلى سواحل كجرات، وسالمته الاثنتان الأخيرتان خوفاً من الغزو الإسلامي، بينما فتحت الأولى عنوة.

كما نلاحظ أن المسلمين اضطروا أن يوجهوا إلى تلك المدن والمناطق وغيرها حملاتهم من جديد بعد حوالي اثنتي عشرة سنة، في ولاية جنيد بن عبد الرحمن المرّي (١٠٧ - ١١١هـ) لانتقاض أمر فتح المسلمين بها من جهة، وتوسيع رقعة الفتح الإسلامي بها من جهة أخرى. وكل ذلك بسبب عودة محمد بن القاسم إلى العراق اضطراراً، وعدم إتمام مخططه العسكري.

٨ - مرمد (ص٥٤١): لم يذكرها الجغرافيون العرب أمثال الاصطخري، وابن حوقل، والمقدسي، والادريسي ولا ياقوت. ويلاحظ أنه ورد هنا أسماء أربعة نواحي ومدن، وهي على التوالي: مرمَد، المندَل، دهَنَج، بَروص وذكرها ابن خرداذبة فقط (ص ٥٧)، وكلها على وجه التقريب على خط واحد من الشمال إلى الجنوب في غرب الهند.

وعلى الرغم من طول بحثي في المصادر والمراجع، وبصفة خاصة أحدث وأوسع أطلس تاريخي عن الهند بالإنجليزية الذي ورد ذكره مراراً في هذا البحث، لم أجد في أحدها مدينة بهذا الإسم أو ما يشبهه، على افتراض

(٢١) وإلى هذا الرأي ذهب الباحث الهندي المعروف R. C. Majumdar, The Arab Invasion of India (Delhi, 1952).

(٢٢) انظر موقعها في الأطلس المذكور في عدد من الخرائط القديمة والحديثة، وخاصة ص ص ٧٠ و ١٤٠.

التحريف في الاسم .

وأغلب الظن عندي أنه تحريف من النساخ أو غلط من الراوي العربي القديم في تسميته منطقة « مَـرَو » أو « ميرو »[٢٣] ، والتي تغيّر اسمها بعد تلك الفترة ، في القرن العاشر الميلادي إلى « مارْوار » ، وهذه المنطقة في مقاطعة راجستان الحالية ، وهي في خط سير الحملات العربية منذ عهد محمد بن القاسم الثقفي .

وبهذه المناسبة أنقل كلام العالم العبقري الشهير أبي الريحان البيروني في موضوع تحريف الأسماء وتغيّيرها ، فبعد أن ذكر تبدّل اسم مدينة « مُلتان » في السند خمس مرات نقلاً عن كتاب هندي قديم ، قال : « ولكن الأسماء سريعة التغيّر عند استيلاء قوم على الموضع غرباء ، مخالفي اللغة ، فإن ألسنتهم تتلجلج فيها ، فيحيلونها إلى لغتهم كعادة اليونانيين ، ويأخذون بالمعنى ، فتتغاير الأسامي» ، ألا ترى أن « الشاش »[٢٤] هو مأخوذ من اسمه بالتركية، وهو « تاس كند »[٢٥] ، أي قرية الحجارة ، وهكذا اسمه في كتاب « جاو غرافيا »[٢٦] . برج الحجارة ، فهكذا تختلف إذا عبّروا بها بمعانيها ، أو يقلبونها إلى ما يسهل عليهم من الحروف والألفاظ كفعل العرب في تعريب الأسامي، فتصير ممسوخة مثل «بوشنك» في كتبهم إياها « فوسنج » ، ومثل « إسكلكند » فإنه في دواوينهم « فارفز » ، وما أبعد الأمر وأطمّ . بل قد نجد اللغة الواحدة بعينها في أمة واحدة بعينها تتغيّر ، فيصير فيها أشياء غريبة لا يفهمها إلا الشاذ ، وذلك في سنين يسيرة ، ومن غير أن تعرض لهم شيء يوجب ذلك » .[٢٧]

ولعمري إنها ملحوظة حكيمة قيمة واقعية ، يجد مصداقها من مارس القراءة في كتب الجغرافيا القديمة ، وحاول التعرف على مواضع البلدان في زمنه .

وقدّم البيروني هذه الملحوظة قبل عرضه جدولاً لأسامي المدن الهندية الكثيرة[٢٨] من كتاب هندي قديم هو « سنكهت » ، والتي كانت أسماؤها قد تغيّرت كثيراً في زمنه أي في أوائل القرن الخامس الهجري ، وصرّح بذلك قائلاً : « فأما أسماء البلاد فأكثرها غير ما تعرف به الآن » .

وعلى هذا فـ « مرمد » ، في ظني ، صورة ممسوخة لاسم « مرو » والمعروف حالياً بـ « مارواز » ، ولم يعرفها الدكتور المنجد ، واكتفى بالإشارة إلى صفحة فتوح البلاذري .

٩ ـ المندل (ص٥٤١) : لم يذكرها من الجغرافيين القدماء غير ابن خرداذبة[٢٩] ، ثم ياقوت ، وكذلك معاصره زكريا القزويني[٣٠] . وكانت المندل معروفة عند العرب في تلك الفترة ، ولعلها عرفت ، لعودها المشهور بالمندلي أو المندل فقط ، كما أشار إليه كل من ياقوت والقزويني .

وفي الهند عدد من المدن والمناطق تحمل هذا الاسم أو قريب الشبه منه ، وأعتقد أن

(٢٣) انظر البيروني ، كتاب الهند ، ص ص ٢٥٧ ، ٢٦٧ ، وكذلك الأطلس التاريخي المذكور ، ص ٣١ ، خريطة رقم أ ، وذكرت فيها « مرمد » مترادفة لاسم « مَرو » ، وانظر بعد ذلك خريطة رقم أ ، في صفحة ٣٢ لاسم « مارواز » في موضع « مرو » Maru .

(٢٤) هي مدينة معروفة في تاريخ الثقافة الإسلامية ، وهي ببلاد ما وراء النهر ، ينتسب إليها عدد من الفقهاء والمحدثين .

(٢٥) هي طاشقند الحالية ، عاصمة جمهورية أُزبكستان في الاتحاد السوفيتي ، ويلاحظ أن عاد إليها الاسم القديم .

(٢٦) هكذا رسمها البيروني ، والمقصود به كتاب « جغرافيا » لبطلميوس أو بطليموس ، وكان قد ترجم إلى العربية .

(٢٧) كتاب الهند له ، ص ٢٥٠ .

(٢٨) المصدر نفسه ، ص ٢٥١ وما بعدها .

(٢٩) المسالك والممالك ، ص ٥٧ .

(٣٠) آثار البلاد وأخبار العباد (بيروت : دار صادر ، د . ت) ، ص ١٢٤ .

المقصود هنا الناحية المعروفة بهذا الاسم على نهر سرسْوتي (Saraswati) والمعروف في بعض فترات التاريخ بـ (Mandala- Saraswati)(٣١) أي حوض « سَرَسْوتي » ، وفي تلك المنطقة مدينة قديمة باسم فرماجرام (Virmagram)(٣٢) المعروفة الآن باسم (Vimagram) ، واكتفى البلاذري أو بالأحرى المدائني (مصدر البلاذري) بذكر المنطقة دون المدينة .

ويؤيد اعتقادي هذا ذكر البلاذري مدينة أخرى في نفس السطر ، وهي « دهنج » الآتي ذكرها .

وحددها القاضي أطهر المباركفوري بمنطقة « جهالاوار كلان »(٣٣) الحالية في اقليم كجرات ، نحو الجنوب من تحديدي .

ولا يمكن أن يكون المراد هنا مدينة « مندل كره »(٣٤) (Manalgarh) في منطقة ميوار (Mewar) شرقي مدينة بهيلمال (بيلمان) ، إذ أنها ليست في خط سير الحملة العربية التي وجهها الجنيد بن عبد الرحمن المرّي إلى الشرق حتى بهيلمال (Bhillamal) ثم الجنوب حتى مدينة بهروج (بروص) في اقليم كجرات . بل بعيدة عن هذا الخط في الشرق .

١٠ ـ دِهنج (ص٥٤١) : لم يذكرها من الجغرافيين العرب غير ابن خرداذبة كما ألمحنا إليه ، كما لم يذكرها البيروني في كتابيه : **كتاب الهند** ، **والقانون المسعودي**.

ولا شكّ أنها مدينة «دهنوج» الصغيرة، وورد اسمها في الأطلس التاريخي لجنوب آسيا (بالإنجليزية) في بعض الخرائط الاقليمية الدقيقة ، وتغيّر اسمها بعد عصر البلاذري إلى سنك جرام(٣٥) (Sunakgram) ، وهي جنوب مدينة بهيلمال (بيلمان) الكبيرة .

وكانت « دهنوج » مركزاً دينياً من مراكز الهندوس الدينية العديدة في تلك المنطقة . وأهملها الدكتور المنجد .

بروص : (ص٥٤١) مرّ تعريفها تحت رقم (٢) ، ويلاحظ أن المسلمين عادوا إلى فتحها من ناحية البرّ بعد حوالي مئة سنة من محاولتهم الأولى من ناحية البحر في خلافة عمر رضي الله عنه . وذلك بعد فتح بلاد السند ، ومنطقة ماروار (Marwar) في مقاطعة راجستان وأصبح الآن الطريق أمامهم مفتوحاً نحو اقليم كجرات الجنوبية حيث مدينة بروص (أو بالأصح بهروج Bhroach) .

١١ ـ أُزين : (ص ٥٤١) هي مدينة « أجّين » (بضم الهمزة والجيم المفتوحة) Ujjain القديمة والمشهورة في تاريخ الهند ، وهي معروفة بهذا الاسم حتى الآن . و « أُزين » تعريب له . ولكن البيروني ذكرها باسمها الصحيح ، ولكن بزيادة الواو بعد الهمزة أي « أوجّين »(٣٦) وموقعها في ولاية مدهيا برديش (Madhya Pardesh) بوسط الهند .

وقد اشتهرت هذه المدينة العريقة عند الفلكيين المسلمين في القرن الرابع الهجري وبعده ، بالاسم المذكور عند البلاذري ،

---

(٣١) انظر **الأطلس التاريخي** المذكور ، ص ٣٢ ، خريطة رقم (a) ، وص ٣٣ خريطة رقم (e) .

(٣٢) المرجع نفسه ، ص ٣٤ ، تكبير منطقة A للخريطة رقم (a) .

(٣٣) المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٣٤) **الأطلس التاريخي** المذكور ، ص ٣٩ ، خريطة رقم (a) .

(٣٥) المرجع نفسه ، ص ٣٤ ، تكبير منطقة (A) للخريطة رقم (a) .

(٣٦) البيروني : **كتاب الهند** ، ص ص ١٦١ ، ١٦٢ ، ومواضع أخرى كثيرة ؛ **القانون المسعودي** ، له أيضاً ، دائرة المعارف العثمانية (حيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٩٥٤ ـ ١٩٥٦ م) ، ص ٥٥٣ .
ويلاحظ أنه اختار الرسم القريب من الرسم المتعارف للكلمة عند العرب ، أي « أوزين » .

وأشار إلى ذلك البيروني قائلاً : « مدينة أوجّين ، وهي التي تذكر في جداول البلدان (ازين) » ، ثم ذكر تخليط بعض الفلكيين في تحديد موقعها. (٣٧)

وحرّف العرب هذا الاسم « أزين » بعد ذلك إلى « أرين » ، واقترحوا لها معنى غريباً ، وهو محل الاعتدال في الأشياء. (٣٨)

والغريب أن الدكتور المنجد يعرّف هذه المدينة الشهيرة والموجودة في جميع خرائط الهند القديمة والحديثة بأنها « بلدة في السند » . ولم يذكر أي مصدر لخطأه هذا الفاحش .

١٢ ـ أرض المالية : (ص ٥٤١) هذا تحريف لاسم مالْوه (Malwa) ، وذكرها البلاذري « بأرض المالية » لأنها اسم اقليم أو ناحية ، وليست اسم مدينة ، و « مالْوه » تعرف بالاسم نفسه حتى اليوم في خرائط الهند ، وهي في ولاية مدهيا برديش (Madhya Pardesh) ولم يحددها الدكتور المنجد ، وأشار إلى صفحة الفتوح فقط .

١٣ ـ بهرمد : (ص ٥٤١) لم يرد هذا الاسم في أي مصدر من المصادر الجغرافية العربية وغيرها ، ويدل السياق في البلاذري أنها من مدن ناحية مالوه(٣٩) ، ولكن على الرغم من تقليبي لهذا الاسم على جميع الوجوه (على افتراض التصحيف فيه) لم أجد في المصادر ولا الخرائط التاريخية القديمة لتلك الفترة مدينة بهذا الاسم في تلك الناحية .

ولذلك فاعتقد أنه تحريف لاسم « برهمنا » (Brahmana)(٤٠) ، وكانت بلدة صغيرة من ناحية « ماروار » الجنوبية في فترة الفتوح الإسلامية ، في القرن الثامن الميلادي ، جنوب مدينة بهيلمال (بيلمان) وفوق بلدة « دهنج » (أو دهنوج) اللتين ورد ذكرهما عند البلاذري قبل ذكر « بهرمد » مباشرة .

وتوجيه هذا التأويل أن (النون) في الإسم الهندي تغيرت إلى (الدال) عند الناسخ العربي ، وأما (الألف) الأخيرة فإنها لا تنطق في الأسماء الهندية نحو نطق « رام » لاسم (Rama) المعروف عند الهنود . وأهملها الدكتور المنجد .

١٤ ـ الجُزر : (ص ٥٤١) ورد رسمها في معجم الدكتور المنجد في نهاية الكتاب « الجرز » (بالزاء المعجمة في الأخيرة) والصواب ما في نصّ البلاذري .

لم يرد ذكرها في المصادر الجغرافية العربية غير الادريسي ، والحقيقة أنه تحريف أو تعريب لاسم « كوجر » (Gujar) ، ويقال أيضاً « كورجرا » (Gurjra) ، وهي اسم اسرة حاكمة(٤١) في منطقتي مالْوه وكجرات في تلك الفترة من التاريخ ، ونسب إليهم اقليم كجرات (Gujrat) فيما أظن ، وورد اسمها في بعض المصادر العربية « الجُوزرات » . (٤٢)

ولا شك أن المقصود « بالجُزر » هذه المنطقة ، ويؤيّد اعتقادي ما ورد في رحلة سليمان التاجر عام ٢٣٥هـ من ذكر ملك « الجُزر »(٤٣) ، وكذلك عند المسعودي في مروج الذهب (١/ ١٧١) .

وتحديدها عند الدكتور المنجد « بأنها في السند » خطأ فاحش ، ولم يذكر مصدراً غير البلاذري .

---

(٣٧) كتاب الهند ، ص ٢٦٢ .

(٣٨) نلّينو ، علم الفلك عند العرب ، (روما ، ١٩١١ م) ، ص ١٥٥ .

(٣٩) ولكن البلاذري لم يتبع الترتيب المكاني في ذكر المدن ، إذ أنه ذكر بعد ذلك مباشرة بعض مدن اقليمي ماروار وكجرات .

(٤٠) انظر موقعها في الأطلس التاريخي المذكور ، تكبير منطقة (A) لخريطة (a) .

(٤١) انظر الصفحة رقم (٣) من هذا البحث .

(٤٢) سليمان المهري ، المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر ، تحقيق ابراهيم خوري ، (دمشق ، ١٩٧٠ م) ، ص ص ٩ ، ٢٥ ، ٢٦ وغيرها .

(٤٣) نقلاً عن السيد سليمان الندوي ، المرجع السابق ص ٢٧ ، وطبعت هذه الرحلة في باريس عام ١٨١١م.

١٥ ـ نازند : لم يرد هذا الاسم في المصادر الجغرافية
(ص٥٤٣) العربية ، ولا في أطالس تاريخية للهند . ولا شكّ أنه تحريف من النساخ لاسم « باربد »(٤٤) (بالباء في موضعين)، وهو تعريب لاسم بهاربهوت (Bharabhuti) أو « بهارَبهوتي »(٤٥) ، بجوار ميناء بهروج (بروص عند البلاذري) ، وقد وجهت إليها حملة بحرية كبيرة في سنة ١٦٠هـ في خلافة المهدي كما ذكره الطبري ، وابن الأثير في حوادث هذه السنة .

وهي الآن بلدة صغيرة بجوار بهروج (Bhroach) في اقليم كجرات واعتبرها الدكتور المنجد « في السند » ، وهو خطأ ، ولم يذكر مصدراً غير البلاذري .

١٦ ـ قشمير : هي « كشمير » ولكن المقصود منها ليست تلك
(ص٥٤٣) الولاية التي تعرف حالياً بهذا الاسم وتقع أجزاء منها في الهند وأخرى في باكستان .

بل المقصود منها المنطقة الواقعة شمال مقاطعة البنجاب الحالية في الهند والباكستان ، وكانت هذه المنطقة تابعة لمملكة كشمير(٤٦) القوية في سفوح جبال الهملايا ، أي كشمير الحالية . والتي سمّاها الادريسي « بكشمير الخارجة »(٤٧) مقابل « كشمير الداخلة » ، وهي كشمير الحالية .

ولا يمكن لباحث عنده حسّ تاريخي أن يقبل أن المراد من « قشمير » عند البلاذري هي كشمير الحالية، ووقع في هذا الخطأ الدكتور صلاح الدين المنجد في معجمه للفتوح . إذ أن كشمير هذه في الجبال لم يغزها أحد من المسلمين غير السلطان محمود الغزنوي في أواخر القرن الرابع الهجري ، ولم يتمكن من فتحها ، وانتشر الإسلام فيها عن طريقة الصوفية الصالحين(٤٨) ، ثم إسلام أحد حكامها فيما بعد .

وكان العرب أقصى ما فتحوه في بلاد السند شمالاً مدينة ملتان (الواقعة في البنجاب الجنوبية بالباكستان الآن) ، وكانت الحملة المذكورة هنا على منطقة البنجاب شماليّ ملتان ، وهي التي سمّاها البلاذري أو المدائني بقشمير .

وعلى هذا فتحديد الدكتور المنجد لها بأنها كشمير التي تنازعها الهند والباكستان ليس بصحيح .

١٧ـ القندهار : قندهار (Gandhara) اسم عدد من المدن
(ص ٥٤٤) الهندية قديماً ، وإحداها تلك المعروفة بهذا الاسم حتى الآن في افغانستان ، وقد ذكرها البلاذري قبل ذلك(٤٩) ، والتي فتحها العرب قبيل فتح السند . والثانية بمقاطعة الحدود الشمالية في الباكستان ، وقامت هناك حضارة بوذية هندية ، معروفة بحضارة قندهار (Gandhara) ، والثالثة المقصودة هنا هي المدينة الساحلية بجوار ميناء بهروج (أو بروص) في ولاية كجرات على الساحل الغربي للهند.(٥٠) ويدلّ على ذلك نصّ البلاذري بوضوح : « وأتى القندهار في السفن ففتحها » .

واعتبرها الدكتور المنجد « من السند » كالقندهار الأولى ، وتحديده لهما في كلا الموضوعين خطأ فاحش . والغريب أنه لم ينتبه إلى عبارة البلاذري الصريحة.

---

(٤٤) وقد ورد صحيحاً هكذا في تاريخ الطبري ، ٨/ ١٢٨ (طبعة دار المعارف، القاهرة).

(٤٥) الأطلس التاريخي لجنوب آسيا، ص ٢٧ ، خريطة (b) .

(٤٦) انظر V. D. Mahajan, op. cit. p. 6 .

(٤٧) نزهة المشتاق، ص ٢/ ١٩٤ .

(٤٨) السيد سليمان الندوي ، المرجع السابق ، ص ٤٠١ .

(٤٩) الفتوح، ص ٥٣٢ .

(٥٠) انظر موقعها في الأطلس التاريخي المذكور، ص ٣٣ ، !خريطة رقم (e) .

١٨ـ سندان : ذكرها معظم الجغرافيين العرب مثل ابن (ص ٥٤٤) خرداذبة(٥١) ، وياقوت(٥٢) ، وأبي الفداء(٥٣) وغيرهم . وهي مدينة ساحلية وتعرف الآن بسنجان(٥٤) في ولاية كجرات ، بجوار ميناء دمن (Daman) ، بين مدينتي سورَت (Surat) وتهانة (Thana) على الساحل الغربي للهند .

وقامت فيها وفي المناطق المجاورة لها دولة عربية باسم الدولة الماهانية في خلافة المأمون ، ولم تعش إلّا لفترة قصيرة ، حوالي ربع قرن أو أقل ، وانتهت بسبب الخلافات الداخلية ومعاداة الجيران الهندوس. (٥٥)

وتعريف أو تحديد المنجد لها : «في بلاد السند» ليس بشيء ، والغريب أنه لم يرجع حتى إلى ياقوت .

١٩ ـ فالي : لم يذكرها من الجغرافيين العرب القدامى غير (ص ٥٤٥) ابن خرداذبة(٥٦) ، الذي اعتمد في تأليف كتابه **المسالك والممالك** ، في حدود المنتصف من القرن الثالث للهجرة ، على كتاب **الجغرافيا** لبطليموس ، وبطليموس ذكر عدداً غير قليل من المدن الهندية القديمة ، والتي ورد ذكرها عند البلاذري .

ورسم كتابة هذا الاسم في اللغات الهندية بالباء الفارسية ذات ثلاث نقاط أو حرف P الإنجليزية ، أي (Pali) ، وكثيراً ما تتغير هذه الباء عند العرب إلى الفاء ، وعرفت عدد من المدن الهندية قديماً بهذا الاسم ، والمراد هنا المدينة المعروفة الآن بـ« بالي تهانة » (أو Palitana) شرقي ولاية كجرات على ساحل المحيط الهندي . وكانت قراصنة البحر (الميد) ، الذي ذكرهم البلاذري هنا يقطنون فيها أيضاً بجانب مقارهم الأخرى على سواحل هذا المحيط ، وموقعها الآن بجانب مدينة بهانكر(٥٧) (Bhawnagar) في ذلك الاقليم ، وكانت إمارة هندوكية مستقلة قبل استقلال وتقسيم الهند عام ١٩٧٤م .

هذه هي المدن الهندية التسع عشرة التي ورد ذكرها في فتوح البلاذري ، والتي كانت هدف الحملات العربية منذ أوائل القرن الأول للهجرة حتى أوائل القرن الثالث الهجري ، خضعت بعضها لفترة قصيرة للحكم الإسلامي أو لولاية السند العربية .

والمؤرخون الهندوس المحدثون لم يذكروا من هذه الحملات إلّا ما كانت بين عامي ٧٣٥ و ٧٣٩ الميلاديين(٥٨) ، أي في فترة ولاية الجنيد بن عبد الرحمن المري (١٠٧ ـ ١١١هـ) ، على السند ، ولعل مردّ ذلك أن الحملات العربية في تلك الفترة كانت قوية ومركزة ، ووصلت إلى أواسط الهند حتى مدينة « أُجّين » العريقة ، بعد اكتساح مدن غرب الهند ؛ ومهما كان الأمر فإنها رُدت جميعاً ، ولم يستقر الفتح العربي الإسلامي في الهند كما استقر في بلاد السند (بشمول مقاطعة بلوشستان وجنوب مقاطعة البنجاب الحالية في الباكستان) ، وسبب ذلك فيما يبدو عدم إبقاء الفاتحين الحاميات من الجنود العرب كما فعل محمد بن القاسم في السند ، والمسافات الصحراوية الطويلة بين مراكزهم في السند وبين هذه المناطق الهندية ، وانشغال الخلافة بثورات عارمة في الشمال الافريقي ، وأخرى في خراسان، حيث أرسل الجنيد بن عبد الرحمن من السند . ويضاف إلى ذلك فيما بعد اضطراب الدولة الأموية وسقوطها ، وانشغال الخلافة العباسية بثورات عديدة كبرى

(٥١) **المسالك والممالك** ، ص ٥٨ .

(٥٢) معجم البلدان ، ٣/ ٢٦٦ (طبعة بيروت) .

(٥٣) **تقويم البلدان** ، (طبعة باريس ، ١٨٤٠ م) ، ص ٣٥٨ .

(٥٤) انظر موقعها في **الأطلس** المذكور سابقاً ، ص ٣٨ ، الخريطة رقم (a) و (b) ، وكذلك ص ١٤٠ .

(٥٥) انظر عنها القاضي أطهر المباركفوري ، المرجع السابق ، ص ص ٣٢ ـ ٤٨ فما بعد .

(٥٦) **المصدر السابق** ، ص ٥٨ ، وورد اسمها « قالي » وهو لا شك من أغلاط النساخ .

(٥٧) انظر **الأطلس التاريخي** المذكور سابقاً ، ص ٧٦ .

(٥٨) **المرجع السابق** ، ص ٣١ ، الخريطة رقم (a) .

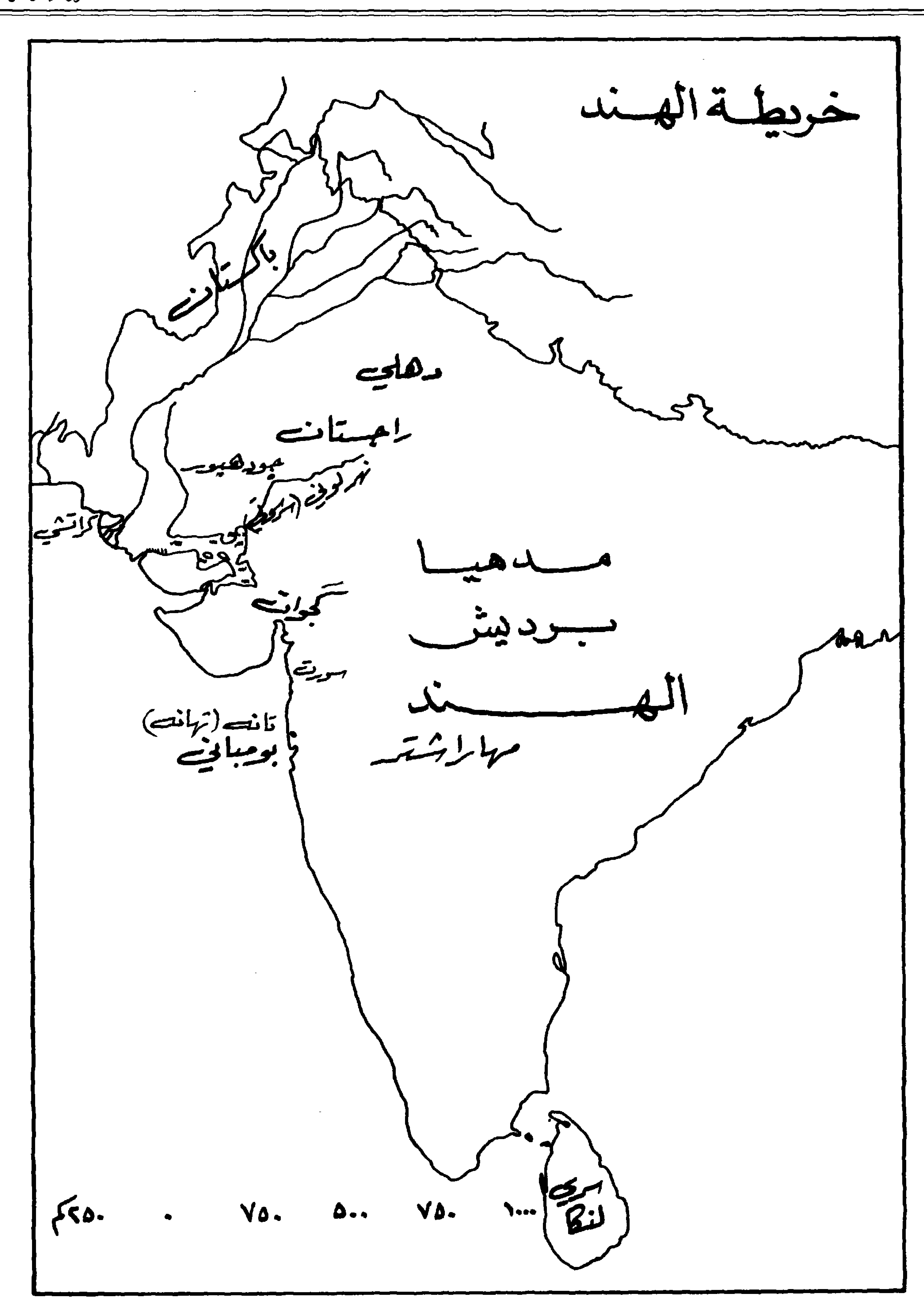
وهي في بداية تكوينها واستقرارها .

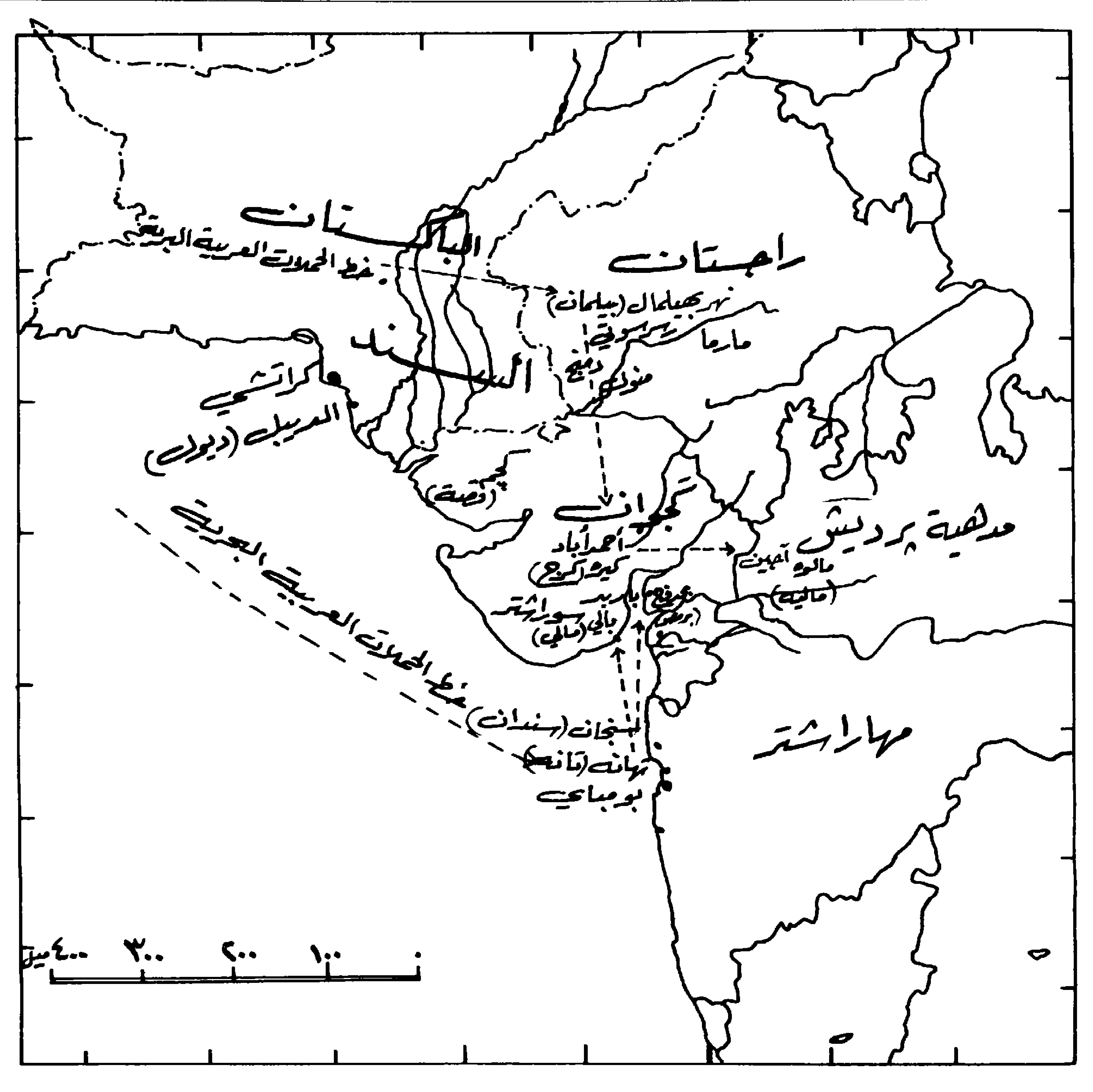
ولم يكن عند الدولة العباسية تخطيط محدّد لتوسيع نطاق الفتح الإسلامي في الهند ، على الرغم من تسجيل المؤرخين المسلمين بعض الحملات في خلافة المنصور والمهدي على بعض السواحل الهندية .

ومهما يكن الأمر ، فإنني أعتقد انه اتضح ، بعد تعريف وتحديد المدن والمناطق التي ورد ذكرها في فتوح البلاذري بهذه الصورة المفصلة الدقيقة ، أمر هذه الفتوح لدى القارىء بأنها كانت في مناطق واسعة من أقاليم راجستان (راجبوتانة قبل تقسيم الهند) وكجرات ، ومالْوَه (Malwa) وماروار (Marwar) ، أو مقاطعات راجستان ، وكجرات ومدهيا برديش الحالية في جمهورية الهند . ولا بد أن تركت هذه الفتوح أو بالأحرى الحملات آثاراً دينية في ربوع الهند ، وليس الكلام فيه من موضوع هذا البحث .

وأخيراً أرجو أن يقدر القارىء ما عانيته في التعرف على هذه البلاد التي درس الكثير منها ، والبعض الآخر تغيّرت أسماؤها ، وأخرى تضاءل شأنها بحيث أصبحت قرى مجهولة ، لا وجود لها في الخرائط العادية للهند . ولا بد أن أعترف بأن كتابات البيروني ، والسيد سليمان الندوي ، ثم الأطلس التاريخي لجنوب آسيا بقلم نخبة من الأساتذة المتخصصين في شؤون الهند ، كان عوناً كبيراً في إنجاز هذا العمل ، ووقفت ساعات طويلة ومرة بعد أخرى أبحث في هذا الأطلس عن موقع بلدة أو مدينة عفّ عليها الزمن حتى تمكنت من تحديدها ، وإزالة الأخطاء والأوهام التي لحقت بأسماء بعضها ومواقعها ، وعسى أن أكون قد قدمت بعملي هذا ما يسهل الأمر على الباحثين في تاريخ الفتوح أو الحملات العربية في الهند .

والله الموفق .


خريطة الهند
باكستان
دهلي
راجستان
جودهبور
نهر لوني
كراتشي
كجرات
مدهيا
بورديش
الهند
سورت
تانه (تهانه)
بومباي
مهاراشترا
سري
لنكا
١٠٠٠ ٧٥٠ ٥٠٠ ٧٥٠ ٠ ٢٥٠كم



خريطة سياسية لغرب الهند ووسطه

تبيّن المناطق الهندية التي ذكرها البلاذري ، ضمن التقسيمات الإدارية الحديثة للهند